

# التنافس الحضاري بين الحضارتين الأندلسية والمشرقية ودوره في تطور الذوق والنقد الأدبي بالأندلس

The rivalry between the Eastern and Andalusian cultures and how it  
influenced Andalusian literary criticism and preferences.

م.د. حمود ناصر حسون  
المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار

Lecturer & Dr. . Hommoud Nasser Hassoon  
Directorate General of Education in Dhi Qar Governorate

**الملخص:**  
التنافس على أشده وهو ما أدى الى  
تطور كبير في النقد الأندلسي.  
وأمام هذه الأهمية الكبيرة للأدب  
والنقد الأندلسي تأتي أهمية موضوع  
البحث في إطار الاهتمام بالنقد الأدبي  
والدراسات الأندلسية للكشف عن  
قيمة النقد الأدبي في الأندلس من خلال  
عرض الاتجاهات النقدية التي سادت  
هذا الإقليم نتيجة ذلك التنافس  
والاحتكاك مع الحضارة المشرقية،  
فالتيارات النقدية التي وفدت من  
المشرق نقلت معها القوالب الأدبية  
والاتجاهات النقدية التي صاحبت  
نسعى في بحثنا هذا إلى تسليط بقعة  
ضوء على أحد أهم المواضيع الحساسة  
والمهمة في الوسط الثقافي العربي ألا  
وهو الأثر الذي خلفه التنافس الثقافي  
و الحضاري بين الحضارة المشرقية و  
الحضارة الأندلسية ودوره في نمو الذوق  
الأدبي وتنمية حاسة النقد في الأندلس  
فالمتتبع لتطور الحركة العلمية  
بالأندلس يدرك أنّ هناك علاقة تنافسية  
من نوعٍ خاصٍ بين الأندلس والمشرق،  
وإنّ تأثير أهل الأندلس أو تعلقهم  
بالمشرق أمر لا خلاف فيه حيث كان

brought with them the literary templates and critical trends that accompanied the march of Arabic literature through its long history, posing numerous problems that we will investigate in this study.

We will seek analytical critique by using a descriptive and analytical technique to discover the components and causes for the formation of Andalusian criticism, as well as the significant impact of cultural competition from the Levantine culture. Keywords include literary taste, Andalusian critique, oriental civilization, and critical currents.

#### مقدمة:

إنَّ المَطَّلَع في تاريخ الأدب العربي، ونقده في فتراته المتعاقبة يجدُّ ما كان سائداً من ظاهرة التأثير والتأثر بين أقاليم العالم الإسلامي المتقاربة منها والمتباعدة، وذلك أمر طبيعي اقتضته سنة الإجماع البشري، وأنَّ كان ذلك الأمرُ مسلماً فيتأكد لنا مع الحالة الأندلسية في علاقتها مع المَشْرِقِ، فالمتتبع لتطور الحركة العلمية بالأندلس يدرك أنَّ هناك علاقة من نوع خاص بين الأندلس والمَشْرِقِ، وإنَّ تأثر أهل الأندلس أو تعلقهم بالمَشْرِقِ أمرٌ لا خلاف فيه، ولا أظنني في حاجة إلى إيراد أدلة لإثبات ذلك، ولكن المُخْتَلَف فيه حول هذه العلاقة هو مدى هذا التأثير والعوامل الداعية لذلك، فالأندلس لم يعيش بمعزل

مسيرة الأدب العربي عبر تاريخه الطويل وهو ما يطرح العديد من الإشكاليات وهو ما سندرسه في بحثنا هذا.

وسنسعى للنقد التحليلي باتخاذ المنهج الوصفي التحليل أداة للتعرف على مكونات وأسباب تطور النقد الأندلسي ومدى الأثر الكبير الذي أحدثه ذلك التنافس الثقافي الوافد من الحضارة المشرقية.

**الكلمات المفتاحية:** الذوق الأدبي، نقد الأندلسي، حضارة المشرق، تيارات نقدية.

#### Abstract

In this study, we hope to shed light on one of the most sensitive and important topics in the Arab cultural milieu: the impact of cultural and civilizational competition between Eastern and Andalusian civilizations, as well as its role in the development of literary taste and a sense of criticism in Andalusia. The most intense is what sparked a significant development in Andalusian criticism. In light of the great importance of Andalusian literature and criticism, the importance of the subject of the research comes within the framework of interest in literary criticism and Andalusian studies to reveal the value of literary criticism in Andalusia by presenting the critical trends that prevailed in this region as a result of this competition and friction with Eastern civilization, critical currents from the East

شرقاً وغرباً، و حظيت هذه الأقاليم - عدا الأندلس- بدراسات تحليلية ضافية لإظهار الآثار الفردية للنقاد، دون النظر إلى ما يكون للبيئة في الجنس، ولا للزمان والمكان من أحكام في تشكيل سمات الإنتاج الفني بخصائص معين، ولا شك في أن مجرد العرض والاستقراء واستنباط الأحكام يشكل دراسة مستقلة ذات مغزى واضح وعمل متكامل، كما أن عرض ذلك بالتفصيل على الآثار المشرقية بمقابلة جزئية دقيقة واستصدار أحكام مقارنة يكون عملاً متكاملًا آخر، وسيكون بحثنا في هذا المقام مداره العرض والاستنباط للاتجاهات النقدية الأندلسية التي جاءت نتيجة ذلك التنافس والاحتكاك بين الحضارتين الأندلسية والمشرقية وانعكاسات تأثير التيارات والاتجاهات النقدية المشرقية على نمو و تطور الحركة النقدية في الاندلس.

**الروافد الحضارية في الأندلس ودورها في تطور النقد الأندلسي:**

لقد عاش النُّقْد الأدبي في المَشْرِق وكذلك في الأندلس خلال القرنين الثاني والثالث الهجر يصرعا بين طريقتي العرب والمحدثين فضلاً عن حالة التردّي التي شهدتها اللغة والتي أشار إليها الزبيدي

عن المشرق في مختلف أحواله السّياسية وأماطه الاجتماعية منذ فترة تأسيس الإمارة إلى أن أفل الحكم الإسلامي في دولة الأندلس، وقد ترك ذلك صدًى واضحاً في حياة الأدب وحركة النُّقْد في مختلف المراحل، من غير أن يأتي ذلك على تفتح المواهب، وإبداع الملكات في التجديد والنزوع إلى الاستقلال والتفرد .

أستطيع أن أقول إنَّ الأدب الأندلسي ليس أدباً مستقلاً بذاته فهو مزيد بين التأثير والتأثير نتيجة احتكاكه بعدة ثقافات أبرزها روافد الحضارة المشرقية ، فهو يمثل خلية حيوية نشطة في كيان الأدب العربي ويمثل أحد أبرز المراحل التي شهدت فيها تطور النقد العربي بشكل كبير وبارز، نشأت وارتفعت ونضجت في ظل التأثيرات التي أصابت هذا الكيان ، فهو بذلك يشكل مرحلة من مراحل تاريخ الأدب العربي، وليس أدباً موازياً له وعند تناول الأدب الأندلسي ونقده بالدراسة يحتم علينا استصحاب كل المؤثرات والروافد التي أصابته عبر مراحل تكوينه وتأثره بالأدب المشرقي في عملية تنافسية جد متميزة كان لها دورا بارزا في نمو وتطور النقد الأندلسي ونشوء عدة تيارات فكرية ونقدية فتحت أفقا جديدة في آفاق النقد الأندلسي والعربي على مر العصور.

بالنظر إلى القرنين الثالث والرابع الهجريين وبصفة خاصة نجد أن حركة نقدية واسعة شملت أقاليم متعددة من العالم الإسلامي

أولاد هرثمة من قيادات الرشيد وكذلك لم تكن المساجد بيوتاً للدين والتعبد بل ساحات العلم الكبرى ومعاهد لتعليم الشباب يتحلقون حول الأساتذة، ويكتبون ما يلقونه أو يملونه، وكان لكل فرع من المعرفة حلقة أو حلقاته الخاصة فحلقة للغة وحلقة للنحو وحلقة للفقهاء وهكذا<sup>٢</sup> أكد الباحثون في الدراسات الأندلسية بأن المؤدبين قد اسهموا مساهمة كبيرة في دفع مسيرة النقد الأدبي في الأندلس خلال القرنين الرابع والخامس وانقسم المؤدبون من خلال مساهمتهم في تطوير حركة النقد إلى مجموعتين الأولى يمثلون تيار النقد اللغوي، إن صلة اللغة بالنقد الأدبي تنصب في معظمها على صحة النص، لأن النص لا يتصف بالجمال إلا إذا تحققت له الصحة أولاً، فلا يمكن أن نصل إلى فهم صحيح للنص الأدبي إذا تجاهلنا البناء اللغوي، ومن هنا كان لعلم اللغة عطاؤه المميز في سياق النص وتركيب جملة وأسلوب أدائه وملاءمته لأحوال متلقيه، ذلك لأن الهدف من العمل الأدبي هو إيصاله إلى سامعيه وإبلاغهم به، لذا لابد أن تكون هذه الرسالة واضحة خالية من الأخطاء صحيحة التركيب، حتى لا يذهب أثرها الاتصالي وتأثيرها الفني، يقول تمام حسان: (( إن مخاطبة الذوق الفني للسامع أو القاريء بقصد استنباط المشاركة الوجدانية تتطلب من الأديب أن يجتهد قدراته اللغوية في جميع النواحي بدءاً بالأصوات واختيار الكلمات

بقوله: (( إن الخطأ قد تفشى فضمنه الشعراء أشعارهم واستعمله جملة الكتاب )) أما في القرن الرابع فقد أصاب النقد الأندلسي شيئاً من التطور أسهم في ذلك المؤدبون ومدرسة أبي علي القالي ومجالس الخلفاء والأمراء وهي ذات العوامل التي أسهمت في تكوين الذوق الأدبي الأندلسي والتي أشرنا إليها في موضع سابق من هذا البحث ولعل أحد أبرز الروافد الفكرية والنقدية التي كان لها دورا بارزا في زيادة نشاط الحركة النقدية بالأندلس نجد حركة المؤدبون.

### أثر المؤدبون في نمو وتطور النقد الأندلسي.

لقد ذكر ابن بسام أن المؤدبين هم نفر من المعلمين الذين كانوا يقومون بتعليم الناشئة علوم العربية من النحو والصرف والعروض وغيرها وهي ظاهرة مشرقية تعود إلى العصر العباسي الأول، وقد ذكر الجاحظ أنه بجانب معلمي أولاد عامة الشعب من الطبقة الوسطى، معلمون لأبناء الخاصة من الوزراء والأمراء العباسيين وكان منهم الفقيه والأخباري والمقريء واللغوي، مثل معلم المهدي الضبي وقد علمه المفضليات، والكسائي معلم أولاد الرشيد المأمون والأمين وقطرب معلم الأمين و أبناء أبي دلف العجلي من قيادات المأمون، وعلي بن مبارك أحد معلمي الأمين، ويحيى بن المبارك معلم أبناء يزيد بن المنصور، والفراء معلم أولاد المأمون، وأبو عبيد القاسم معلم

: الأَوَّل ضبط اللغة وروايتها ونقل كتبها  
 المعتمدة من المَشْرِقِ مع دراسات نحوية  
 صرفية ، والثاني : رواية الشُّعْر والوقوف  
 عليه تدريسياً وشرحاً وتوثيقاً<sup>٥</sup>  
 وكان طبيعياً أن تُعنى الأندلس بقيام  
 مؤدبين على تعليم الناشئة الفصحى  
 وقواعدها المهمة لنشيء من أجل كبرهم  
 على البلاغة و نمو الفصاحة بداخلهم،  
 وبدأ ذلك في القرنين الثاني والثالث  
 للهجرة ، وعلماء اللغة يعدون بالعشرات  
 في كتاب طبقات النحويين للزبيدي ، ومن  
 أوائل اللغويين الذين رحلوا إلى المَشْرِقِ :  
 الغازي بن قيس ( ت ١٩٩هـ ) الذي رحل  
 إلى المَشْرِقِ ولقي الأصمعي وأخذ عن  
 مالك الموطأ في الفقه ، ومنهم الهواري  
 وله كتاب في القراءات ، ومن معاصريهما  
 جودي بن عثمان الراحل إلى المَشْرِقِ  
 المتوفى سنة (١٩٨هـ) وكذلك عثمان بن  
 المثنى تلميذ ابن الأعرابي ، الذي لقب  
 أبا تمام وأخذ عنه ديوانه ، ومنهم ثابت  
 بن عبد العزيز وابنه القاسم وهما أوَّل  
 من أدخل معجم العين إلى الأندلس  
 كلها كان لها دور بارز في تنمية الحس  
 النقدي والذوق الأدب في الأندلس وغير  
 بعيد عن المؤدبون نجد دور العديد  
 من جهابذة الحركة النقدية والشعرية في  
 الحضارة المشرقية دورا بارزا في نمو النقد  
 بالأندلس ولعل أبرزهم نجد أبي تمام وأبي  
 علي القالي اللذان كان لهما دورا محوريا  
 في تطور الحركة النقدية بالأندلس ولذلك  
 وقع اختيارنا عليهما.

المناسبة ذات الجرس والتأثير الموسيقي  
 التي تتناسب مواقعها من اللفظ وقسطها  
 (من المعنى)<sup>٦</sup>  
 من أجل ذلك كانت معرفة اللغة ضرورة  
 يحتاج إليها الأديب يقول ابن خلدون عن  
 أهمية فقه اللغة : (( وأكثر ما يحتاج إلى  
 ذلك الأديب في نظمه ونثره ، حذراً من  
 أن يكثر لحنه في الموضوعات اللغوية في  
 مفرداتها وتركيبتها ، وهو أشرُّ من اللحن في  
 الإعراب وأفحش<sup>٧</sup> ))  
 وعلماء اللغة الذين مارسوا عملية  
 التأديب في الأندلس من منطلق الحرص  
 عليها كانوا يقفون بالمرصاد للأخطاء التي  
 كانت تصدر من الأدباء و الشُّعراء كما  
 اسندت إليهم مهمة تعليم التلامذة  
 وتثقيفهم بلسان العرب وأدبهم وكان  
 فريق منهم يجمع بين علوم الدين  
 واللسان مما جعل سلطانهم واسعاً  
 وعلمهم أشد عمقاً وأثراً ، ولقد قامت  
 طبقة المؤدبين والمعلمين ممن ارتحل  
 منهم إلى المَشْرِقِ واغترف من علمه وأدبه،  
 بدور كبير في قيادة الحركة النَّقدية في  
 الأندلس في بداياتها الأوَّلى ، فكان لهم  
 دور<sup>٨</sup> في إدخال ضروب الثقافة المَشْرِقية إلى  
 بلاد الأندلس من كتب لغوية ودواوين  
 شعرية وفي مجالسهم تكونت نواة حركة  
 النَّقد ، فهم الذين يشرحون الشُّعْر  
 لطلابهم ويوضحون معانيه ، ويتبعون  
 مافيها من المآخذ اللغوية والنحوية  
 وفي ذلك يقول محمد رضوان الدايه: ((  
 وكانت اهتماماتهم العربية ذات وجهين

أثر أبي تمام وأبي علي القالي في نمو الحركة النقدية بالأندلس.

١- أبي تمام:

أبو تمام حبيب بن أوس (ت ٢٣١ هـ) من الشخصيات الأدبية التي أثارت حركة الأدب و النُّقْد في الأندلس في القرن الرابع الهجري فقد دار حوله صراع كبير أساسه التعصب للقديم ورفض الحديث، فهو على رأس من ساروا في المَشْرِق في الاتجاه الشُّعري المحافظ الجديد كرد فعل للاتجاه المحدث الذي تزعمه أبو نواس، كان عالماً بالشُّعْر وقف على كثير من ثقافات عصره المتنوعة ، وعُرف عنه الغوص في المعاني وكثرة استخدام البديع الذي عابه عليه قوم“ وأيده آخرون ، أكثر النُّقّاد في عدّ عيوبه وقارنوه بالبحثري وتمخض عن ذلك تأليف كتب في النُّقْد أهمها كتاب البديع لابن المعتز ( ت ٢٩٦ هـ) و الذي يعتبر النواة لعلم البلاغة العربية، وفيه أكد ابن المعتز أنّ البديع شيء” لم يخترعه أبو تمام وإنما أكثر منه

يقول مصطفى عليان: (( حظي أبوتمام في بيئة فُرطبة اللُّغوية بعنايةٍ بالغةٍ ، إذ أدخل شعره إلى الأندلس عثمان بن المثنى بعد أن لقيه في رحلته وقرأ شعره عليه، الأمر الذي دفع باللُّغويين والمؤدبين إلى تلقفه وتبنى تعليمه ، فأضحى يُقرأ في حلقات التأديب والتعليم)).<sup>١</sup>

هذا يعني أنّ اللُّغويين والمؤدبين أنفسهم عكفوا على دراسة شعر أبي تمام ثم تعهدوا بتدريسه لتلاميذهم في حلقات

الدراسة مما يدل على أنّ شعر أبي تمام قد لقي قبولاً منقطعاً فاتخذوه مادة للدراسة ومنهجاً يسرون عليه ، فشكل بذلك رافداً قوياً من روافد تغذية الذُّوق الأدبي الأندلسي ، وعُرف بذلك أبو عبد الله القالي الذي كان يُقرأ عليه شعر حبيب، وعنه أخذ أبو العباس الطبيخي، فجمع إلى شرحه على شعر صريع الغواني شرحاً مبسطاً قريباً لشعر أبي تمام وعُرفت بعد ذلك « طبقة » ذات بُصير بشعر أبي تمام أبرزها ابن الأَصفَر<sup>٧</sup>.

ويقول إنه من حول هذه الطبقة تبلور الذُّوق الأدبي المُحدَث في الأندلس بلورة جزئية ، وأصبح مقياس تقديم الشُّعْر عندها ومعياره هو غرابته وحسن معناه على طريقه مدرسة أبي تمام الشُّعريّة وإنّ شعر أبي تمام الذي وصف فيه القلم لا يتقدم عليه متقدم ولا يفضل ولا يتأخر<sup>٨</sup>

ومن الأدلة التي تشير إلى طغيان أثر أبي تمام في الذُّوق الأدبي الأندلسي القصيدة التي نسجها ابن عبد ربه في وصف القلم و الذي نحا فيها منحى أبي تمام من حيث غوصه في المعاني ، كما أنبرى لمعارضته عدد“ من شعراء الأندلس فقد لاقت قصيدة أبي تمام التي يصف فيها الربيع والتي مطلعها :

رَقَّت حواشي الزهرِ فهي تَمَرَمَرُ \*\*\* وغدا  
الثرى في حَ لِيهِ يتكسَّرُ<sup>٩</sup>

تداولاً بين شعراء الأندلس ، فقد عارضها أبو بكر نصر الكاتب بقصيدة

مذهب العرب وطريقتهم ، وتقابل تلك الرحلات الشرقية هجرات معاكسة إلى الأندلس فكانت بمثابة الرافد المعادل في هذا المجال ، وقد حدثت تلك الهجرات نتيجة لتشجيع بعض الحكام للعلماء بالقدوم إلى الأندلس لنشر الثقافة الأدبية ، ومن أبرز الشخصيات الأدبية واللغوية التي وفدت على الأندلس أبو علي إسماعيل بن القاسم ابن عيذون بن هارون القالي الذي تتلمذ في العراق لأشهر مشايخة البصريين وتأثر بطريقتهم في النحو واللغة يقول الضبي :

(( وصل القالي إلى الأندلس في سنة ثلاثين وثلاثمئة في أيام عبد الرحمن الناصر ، وكان ابنه الأمير أبو العاصي الحكم بن عبد الرحمن من أحب ملوك الأندلس للعلم وأكثرهم اشتغالا به ، وحرصاً عليه ، فتلقاه بالجميل وحظي عنده وقربه وبالخ في إكرامه ، ويقال هو الذي كتب إليه ورغبه في الوفود عليه))<sup>١٠</sup>

وقد ترك القالي أثراً كبيراً في توجيه الذوق الأدبي الأندلسي بما القاه من علوم وما قام به من تعريف الأندلسيين بأدب المشاركة ولغتهم وما أدخله من دواوين شعرية عرف بها أدباء الأندلس التيارات الشعرية المختلفة في المشرق.

ذكر أبو بكر محمد بن خير ، وكذلك المقرئ أن أبا علي القالي نقل معه إلى الأندلس مجموعة شعرية ضخمة بلغت سبعة وسبعين من الدواوين ، وسبعاً من القصائد ، وهذا العدد سوى ما تزايد عنه

جاء موافقاً فيها لأي تمام في بعض معانيه كقوله :

خَصِلَ " بريعان الربيع وقد غدا

للعين وهو من النضارة منظرٌ <sup>١١</sup>

الذي هو قول أبي تمام :

دنيا معاشٌ للورى حتى إذا

حلَّ الربيع فإنما هي منظرٌ <sup>١١</sup>

وكذلك تأثر أبو بكر في قوله :

وكأماً تلك الرياض عرائسُ

ملبوسهنَّ معصُ فروم زعفرٌ <sup>١٢</sup>

بقول أبي تمام:

مُصْفَرَّةٌ مُحَمَّرَةٌ فكأثها

عُصْبٌ " تيمُّنٌ في الوغى ومضُرٌّ <sup>١٣</sup>

ويرى بعض الباحثين أن طغيان تأثير أبي تمام في الذوق الأندلسي لم يجاوز الميل البكر ومرحلة النشو ، فسرعان ما انحسر ظله ، حين بدأ الأندلسي ويلتفتون إلى بيتهم ويستهلون معانيها في أنغام شعرية ثرة بالصورة الطبيعية التي غدت شارة مميزة في أدبهم شعراً ونثراً ، ولعل مما يعزز تأثير أبي تمام المحدد في مرحلة نشوة الذوق الأدبي ، الأقبال على حماسته بالشرح والتعليق ، ولئن دل ذلك على شيء فإن ما يدل على الإعجاب بشعر الحماسة الذي يجري على مذهب مغاير لمذهب أبي تمام في شعره <sup>١٤</sup>»

٢\_ أثر القالي:

أوردتُ في موضع سابق بأن اللغويين والمؤدبين في حلقاتهم التعليمية ورحلاتهم إلى الشرق يمثلون أحد الروافد البارزة في تنشئة الذوق الأدبي الأندلسي ونمائه على

مدح الرسول ، وقصيدة الفرزدق (( هذا الذي تعرف البطحاء وطأته)) والقصيدة اليتيمة لذي الرمة (( هل بالطول لسائل ردُّ )) ثم يقول: (( وكان هذا الشَّعر مما قرأه موثقاً على نفطوية وابن دريد من شيوخه وأساتذته ، وكذلك حمل من كتب الأخبار ثمانية وعشرين جزءاً من أخبار نفطوية وأخبار ابن الأنباري وخمسين جزءاً من أخبار ابن دريد والأخبار المنثورة للصولي، وكتاب الآداب لابن المعتز ، والأمالى لنفطوية.<sup>١٨</sup>

بالنظر في هذه القائمة يظهر لنا ميل أبي على القالي الواضح إلى طريقة العرب إذا قارنا دواوين القدماء من جاهليين وإسلاميين التي قام بنقلها بدواوين المحدثين ، ولاغرابة في ذلك فهو تلميذ للرواة المشاركة الذين وقفوا من الشَّعر المحدث موقفاً عنيفاً وحذراً ، وهو نفسه يقرُّ بذلك مبيناً اتجاهه في قوله : (( إنَّ علمي علم رواية وليس بعلم دراية فخذوا عني ما نقلت ))<sup>١٩</sup>

يقول إحسان عباس : (( لم يقتصر طموح القالي على هذه الكتب في صقل الذوق الأندلسي ، بل عمد إلى تعهد تلامذته بالدربة في دروسه بجامع الزهراء ، وكانت هذه الدروس بمثابة الدعوة إلى إعادة النظر في طبيعة الذوق الذي كاد أن يتبلور في الأندلس أو هو محاولة لتكريز مذهب العرب وطريقتهم في الأندلس عن طريق التأثير الأدبي))<sup>٢٠</sup> وكان كتابه « الأمالي » الذي أملاه على

وأخذ منه في القيروان أثناء عبوره إلى الأندلس.

فمن الدواوين الجاهلية : ديوان النابغة الذبياني، علقمة بن عبده التميمي، الأعشى ميمون قيس ، عروة بن الورد ، المثقب العبدى ، مالك بن الريب المازني، أوس بن حجر التميمي ، الأفوه الأودي ، زهير بن أبي سلمى ، عبيد بن الأبرص ، المرقشيين ، سلامة بن جندل ، قيس بن الخطيم، امرئ القيس ، دريد بن الصمة ، طرفة بن العبد و عنتره ، بشر بن خازم ، المتلمس الحارث بن حلزة، لييد بن ربيعة

ومن المخضرمين والإسلاميين : ديوان الخنساء، الخطيئة، معن بن أوس، النابغة الجعدي، عدي بن زيد، زيد الخيل، سُحَّيم عبد بنى الحسحاس. حميد بن ثور الهلالي ذي الرمة، توبة بن الحمير الخفاجي، العجاج بن رؤبة وابنه رؤبة، الراعي، ليلى الأخيلية ، جميل، عمرو بن أحمد الباهلي، حسان بن ثابت، الأحوص، مزاحم العقيلي، الفرزدق، الأخطل، جرير،

كعب بن زهير، عمر بن أبي ربيعة<sup>١٦</sup> ومن شعر المحدثين : شعر أبي نواس ، و جزء من شعر أبي تمام ، شعر أبي الطيب المتنبي ، شعر ابن المعتز وترسيه وفصوله ، وشعر الصنوبري .<sup>١٧</sup> وقد اختار من القصائد عيونها فحمل معه قصيدة عمرو بن كلثوم وقصيدة لقيط بن معمر الأبادي، مقصورة ابن دريد والمربعة وابن دريد ، قصيدة كعب بن زهير في

المشاركة خاصة المبرد في كتاب الكامل بقوله: (( ولئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحواً وخبراً فإن كتاب أبي علي لأكثر لغة وشعراً ))<sup>٣٣</sup>

### أثر المذاهب النقدية المشرقية على تكوين النقد الأندلسي

لاشك أن النقد تابع "للأدب"، فمتى ما وُجد أدب "وُجد نقد" ونقاد لهذا الأدب، وقد بينا في موضع سابق بأن العرب قد عرفوا شيئاً من النقد منذ أقدم عصور الأدب العربي، وأخذت هذه المعرفة تزدهر مع ازدهار الحياة الأدبية للمجتمع العربي، خاصة خلال القرن الرابع الهجري الذي شهد حركة انفتاح واسعة على ثقافات الأمم المجاورة وآدابها من فرس ويونان وغيرهم .

وقد لازم هذا الانفتاح حركة ترجمة مزدهرة شملت مختلف آداب اليونان والفرس وعلومهم، فتركت حركة الترجمة هذه أثراً على الأدب العربي ونقده الذي بدأ يتجه نحو المنهجية العلمية الدقيقة، ويمكن ملاحظة ثلاث مجموعات أثرت على تطور النقد الأدبي وتحديد مساره هي: مجموعة الشعراء والكتاب، ومجموعة اللغويين ومجموعة المتكلمين . فالشعراء والكتاب تركوا أثراً كبيراً على تطور النقد وتقدمه، ونجد مثلاً لذلك الشاعر بشار بن برد الذي كانت له ملاحظات على شعر معاصريه تدل على امتلاكه ملكة نقدية وذوق أدبي أمّلته حياة الحضارة الجديدة، وكذلك أبو نواس الذي

طلابه متنوع المادة، فأورد فيه ما يتعلق بلغة العرب شرحاً وبياناً كما أورد طائفة من الأمثال والأشعار والأقوال، إلى جانب ما ذكره من غريب اللغة، فجاء كتاب مستوعباً لجملة من الفنون، وكان قدومه إلى قرطبة فاتحة عهد لغوي جديد كما كان أسلوبه الذي سلكه في التعليم هو الطريق الذي اتبعه المعلمون من بعده. نخلص من هذا العرض إلى أن القالي قد سار على نهج مدرسة الرواة في تثقيف الذوق الأدبي للمتأدبين في الأندلس، وقد لخص ذلك الأصمعي في قوله: (( لا يصير الشاعر في قرض الشعر فحلاً حتى يروي أشعار العرب، ويسمع الأخبار ويعرف المعاني، وتدور في سامعه الألفاظ ))<sup>٣١</sup>

يقول مصطفى عليان: (( وعلى الرغم من أن القالي لم يدخر جهداً إلا بذله في رقد الذوق الأدبي الأندلسي فإنه لم يستطع أن يحدد مسار الشعر الأندلسي تحديداً نهائياً في القرن الرابع الهجري نحو مذهب العرب الذي كان مأخوذاً به إلا أن له الفضل في حفز هذا المذهب عند تلامذته بشكل خاص مثل الزبيدي في مرثيته له التي جرى فيها على طريق فحول العرب، وكذلك تحديده طريقة الشعراء فيه في القرن الخامس الهجري ))<sup>٣٢</sup>

يقول المقرئ (( وقد ظل القالي ومنهجه أثيراً في الأندلس، فقد طمع المنصور ابن أبي عامر أن يقفي بصاعد اللغوي على آثار أبي علي، وقد فاخر به ابن حزم

أخذ يتمرد على التيار القديم وأخذ يجاهر بالدعوة للخروج على نظام القصيدة العربية مما ترك أثراً أصبح مقياساً نقدياً لدى الكثير من النقاد حتى عصور متأخرة، وكذلك من الشعراء الكتاب نجد عبد الله بن المعتز الذي يعتبره الكثيرون صاحب أول كتاب نقدي عربي دافع فيه عن الأدب العربي القديم و دحض آراء الشعوبية الذين زعموا أن البديع دخیل“ على الأدب العربي و أنه من أصل فارسي وقد بين ذلك شوقي ضيف

أما مجموعة اللغويين ، فقد كان لهم دور“ كبير في جمع اللغة و الشعر، خاصة بعد أن دخل عدد“ كبير من غير العرب في الإسلام ، فقد كانوا حُفاظاً للشعر العربي واللغة في وقت أصابت فيه اللسان العربي آفة اللحن ، كما كان لهم ملاحظات نقدية دقيقة ، ووقفوا أمام محاولات التجديد في الشعر العربي بكل صلابه وقوة ، مقياسهم في ذلك الرجوع إلى الشواهد القديمة والقياس عليها ، وقد ساهم اللغويون في تطوير النقد بمؤلفاتهم التي تعد من أهم مرتكزات النقد فيما بعد ومثالاً لذلك كتاب (طبقات فحول الشعراء ) لابن سلام الجُمحي الذي يعد من أبرز وأقدم الدراسات النقدية التي سارت على منهج واضح في التأليف، فقد قسم فيه الشعراء إلى طبقات، ولم نجده قط يتعرض في طبقاته لواحد من الشعراء المحدثين.

وكذلك أسهمت مجموعة المتكلمين

إسهاماً فاعلاً في تطور النقد الأدبي وتحديد مساره ، و يقصد بعلم الكلام الجدل الديني في شؤون العقيدة عند المسلمين، ومن أشهر فُرق المتكلمة ، فرقة المعتزلة ومن زعمائها عمرو بن بحر «الجاحظ» الذي نقل لنا في كتابه البيان والتبيين ، وكتاب الحيوان ، شعراً للمحدثين، وعاب على اللغويين رفضهم شعر أولئك ، كما أثنى على بشار بن برد ومسلم بن الوليد وأبي نواس ، وأبدى رأيه في بعض الشعراء الجاهلين مثل زهير بن أبي سلمى ، مع بداية القرن الرابع الهجري ، اتجه النقد الأدبي إلى المنهجية والمقارنة ، وكان لانقسام النقد بين مفضل لأبي تمام على البحثي والعكس دور“ كبير“ في دفع عجلة النقد ونشطت حركة التأليف في هذا الميدان ، فألف أبو بكر الصولي كتابه أخبار أبي تمام ثم ظهر بعد ذلك كتاب الموازنة للآمدي ويُعد من أعظم كتب النقد وأجلها ، ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس وأثارت حوله خصومات عنيفة بعضها في عصره ، و أمتد بعضها الآخر إلى ما بعد عصره ، و أشهر كتاب ل ف في هذا المجال كتاب الوساطة للقاضي الجرجاني ، هذه هي صورة النقد الأدبي بالمشرق من بداية العصر العباسي حتى القرن الرابع وعلى ضوء هذه الخلفية عن النقد المشرقي ننفذ للإجابة عن الفرضية القائلة أن للمذاهب و التيارات النقدية المشرقية أثر“ على النقد الأندلسي ، خاصة في مرحلة التكوين والنشأة.

يرتبط التُّقد ارتباطاً وثيقاً بالشُّعر والنثر وهو لاحقاً لهما ، والأندلسيون عرفوا الشُّعر على المذهب العربي ومذهب المحدثين ، أما مذهب العرب فيُقصد به فخامة اللفظ ، وجزالته والإقتداء بصور العرب ومسلكتهم في التعبير ، هذا ما أورده محمد رضوان الدايه عنه<sup>٢٤</sup> ، أي أنهم يطلقون « مذهب العرب على شعر الشاعر الذي يكون متمسكاً بمقاييس النحويين واللغويين في شعره ، فلا يخرج عن نهج القصيدة العربية القديمة وصياغتها العامة من وقوف على الأطلال ، ووصف الحيوان ، ثم المدح أو الهجاء ، أو الفخر أو غيرها حسب غرض القصيدة التي قيل فيها ، وهذا ما قصدوه عندما ذكروا أن الزبيدي رثا شيخه القالي بقصيدةٍ جزلة الألفاظ كثيرة الغريب ، صاغها صوغ فحول العرب» . ويوجد من الأندلسيين من قال الأراجيز التي كانت شائعة في العصر الأموي مثل ابن عثمان الأصم الذي قال عنه الزبيدي : « كان لغويّاً فصيح اللسان ، شاعراً مجوّداً و أكثر أشعاره على مذاهب العرب»<sup>٢٥</sup> ، وكذلك قال الحميدي : (( ومن الأندلسيين ممن نهج على طريقة العرب الأوائل في شعرهم أبو مروان عبد الملك بن زيادة الطيّبي»<sup>٢٦</sup> وكذلك أورد ابن حزم في رسالته عن فضل الأندلس ، ونقل عنه المَقْرِي: (( أن أبا الأجر جعونة الشَّاعر الأندلسيّ كان يجري في شعره على مذاهب الأوائل

لا على طريقة المحدثين »<sup>٢٧</sup> مما سبق يتبين لنا أنه كان هناك تعصب « واضح » لمذاهب العرب وطريقتهم في الشُّعر وإن كان محصوراً في فئةٍ قليلةٍ من المعجبين بالشُّعر القديم وأهل اللغة والنحو وتلاميذ القالي الذي نشر مقاييسه التُّقدية القائمة على الإعجاب بالتراث القديم والاحتكام على اللغة والغريب . أما مذهب المحدثين كما ذكره محمد رضوان الداية، فهو النهج على طريقة أبي نواس وأبي تمام وابن المعتز والأخذ بالتجديد في العصور البيانية والبديعية والإكثار من ذلك<sup>٢٨</sup> وكان الاهتمام بمذهب المحدثين هو الأمر الشائع عند الأندلسيين، وربما كان السبب وراء إعجاب أهل الأندلس بشعر المحدثين دون شعر العرب الأوائل هو أن الدُّوق الأندلسيّ تأثر أولاً بالشُّعر المحدث، شعر أبي تمام والبحتري وابن الرومي ، وابن المعتز وأبي العتاهية ، لذا أن بدايات الشُّعر الأندلسيّ كانت تعتبر شعر المحدثين هو المرجع الذي تستند إليه وتستمد منه أرثها الشُّعري، وليس شعر العرب الأوائل كما كان الحال في المَشْرِق ، ولكن لا يعني تعصب أهل الأندلس لمذهب معين دون غيره ، فالناظر في شعر الأندلسيين يجد واضحاً المذهب المحدث جنباً إلى جنب مع مذهب العرب في شعر شاعر واحد دون صراع بينهما ، ولذلك لم تشهد الساحة الأدبية الأندلسية معارك نقدية حادة

بين نقاد الأندلس حول التعصب للقديم أو المحدث كما بيّن ذلك إحسان عباس<sup>٢٦</sup> وعلى الرغم من أن الصراع كان على أشده في المشرق حول أبي تمام والبحثري وقد تسرب هذا الصراع إلى الأندلس و لكن لم يحدث صراعاً نقدياً مثل الذي ثارت في المشرق كما ذكر ذلك الزبيدي<sup>٢٧</sup>: «أنّ أبا حفص عمر بن يوسف الخيطي كان من أهل العلم بمعاني الشعر، وكان يتعصب للبحثري، وكان له حظ من علم العربية وهو شاعر مطبوع ومجود»

وقد عني أهل الأندلس خلال هذه الفترة بشرح دواوين المحدثين والمشاركة، فشرح الطبخي ديوان صريح الغواني مسلم بن الوليد، كما شرح شعر أبي تمام الذي كان مشهوراً عند الأندلسيين عظيم الشأن، ويمكن القول أنّه لم تظهر حركة نقدية أدبية أندلسية واضحة الاتجاهات والمعالم كما كان الحال في المشرق وقد يكون السبب وراء ذلك أنّ النقد الأندلسي كان في بداية نشأته ومع ظهور المتنبي وذيوع شعره في المشرق والمغرب، أهتم به أدباء الأندلس وشعراؤه الذين حاكوه في معانيه وأغراضه، حتى سمي ابن دراج القسطلبي الشاعر الأندلسي المعروف بمتنبي الغرب لشدة تأثره بالمتنبي وطريقته.

#### الخاتمة:

تناول البحث التيارات النقدية المشرقية بكامل زخمها وثرائها، وأثرها في تكوين اتجاهات نقدية بالأندلس ودورها في تنمية روح التذوق الشعري وتنمية روح وحس النقد عند الأندلسيين من خلال ذلك التنافس الذي خلق نتيجة هذا الاحتكاك و التنافس الحضاري خاصة أثر توافد العديد من النقاد والمفكرين نحو بلاد الأندلس حاملين معهم فكر ومدارس جديدة على البيئة الأندلسية وهو ما جعلها محط إعجاب و تلقف من قبل أهل الأندلس الذين ولعوا بذلك الشعر

كما تأثر به شعراء آخرون مثل ابن عبدون، وابن وهبون، وانتشر شروح الأندلسيين لشعر المتنبي مثل شرح الأعلام الشنتمري وأبي القاسم الأقبلي وشرح ابن سيده م ش كل شعر المتنبي، كل ذلك

وانبهروا بتلك التيارات النقدية الوافدة عليهم في محاولة للتعرف عليها ومحاولة فهمها والنسج على منوالها.

و تظهر مشكلة البحث في السعي إلى تحديد أثر هذا التنافس وهذه التيارات في تطويع اتجاهات نقدية أندلسية مستقلة عن المشرق وكيف لعب ذلك التنافس الحضاري والتلاقح الثقافي في بناء منظومة نقدية وشعرية يشهد لها التاريخ لحد يومنا هذا وليس أدل على ذلك من كثرة الأبحاث و الدراسات التي تناولت بالبحث و التنقيب في صنوف وكتب المدارس النقدية بالأندلس.

و تتمثل أهميته في معرفة الاتجاهات النقدية التي نشأت في الأندلس وعلاقتها بالمشرق والوقوف على مدى الأثر المشرقي في تكوين هذه الاتجاهات النقدية لمعرفة أصالة الأدب الأندلسي واستقلاله عن المشرق أو تبعيته له بعد فترة طويلة من التنافس الحضاري ، ويهدف البحث في مجمله إلى الوصول إلى بيان أصالة الأدب الأندلسي شعراً ونقداً في الجانب الفني مع تبعيته للمشرق في الإطار العام مع وجود علاقات قوية بينهما، واتخذت التيارات والاتجاهات النقدية بين المشرق والأندلس مجالاً لتوضيح التأثير والتأثر والاخذ والعطاء ، واتخذت شعر الطبيعة خاصة مجالاً للتطبيق في حدود إقليم الأندلس في الفترة ما بين القرنين الثاني والخامس الهجري .

ولتحقيق أهداف البحث أتبعنا المنهج الوصفي التحليلي بجمع الملاحظات النقدية ومناقشتها على ضوء المبادئ والمقاييس النقدية المشرقية لإصدار الأحكام والدلالة على أوجه الشبه أو المفارقة.

#### النتائج :

١- إنَّ الذوق الأدبي الأندلسي تكون نتيجة لأسباب وعوامل ومؤثرات ، المحلية والمشرقية منها أثر حكام الأندلس من أمراء وخلفاء وعلماء اللغة المؤدبين، ثم أثر الوافدين من المشرق كأبي علي القالي وأبي تمام والمنتبي وأبي علاء المعري .

٢- إنَّ الاتجاهات الأدبية (الشعرية والنقدية) الأندلسية وفدت من المشرق ضمن المؤثرات المشرقية على الأدب الأندلسي.

٣- إنَّ الحركة النقدية واتجاهاتها وتياراتها في الأندلس بدأت متأخرة عن المشرق لعدم استقرار الأندلس سياسياً في المرحلة الأولى وكان مسجد قرطبة نقطة الانطلاق للنقد الأندلسي.

٤- إنَّ الأدب الأندلسي مستقل عن المشرق في تكوينه الفني ، وتربطه بالمشرق وشائج متينة وأنَّ مذاهبه واتجاهاته النقدية تأثر كثيراً بالمذاهب والاتجاهات النقدية المشرقية

**الهوامش:**

- ١- أبو عثمان بن بحر، الجاحظ، البيان والتبيين: ج ١ ، ص ٤١٣
- ٢- ينظر: المصدر نفسه: ج ١ ص ٤١٣
- ٣- تمام ، حسان، اللغة والنقد الأدبي : ص ١١٦ ، مجلة فصول ، ج ٤ العدد الأول ديسمبر ١٩٨٣ م
- ٤- المقدمة: ص ٥٥.
- ٥- محمد رضوان، الدايه، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس : ص ١٠ ، ط ٢ مؤسسة الرسالة ١٩٨١ م
- ٦- المصدر نفسه: ص ٢٥١
- ٧- أرنولد، بينيت ، الذوق الأدبي: ص ٢ ، ترجمة على الجنى ط ١ ، مكتبة نهضة مصر القاهرة ١٩٥٧ م
- ٨- ينظر: محمد بن الحسن، الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين : ص ٨٣٣ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢ القاهرة ١٩٥٤ م
- ٩- حبيب بن أوس، الطائي، ديوان أبي تمام : ص ١٧٠ ، تحقيق محمد عبده عزام دار المعارف ١٩٧٩ م
- ١٠- تيارات النقد الأدبي في الأندلس: ص ١٦
- ١١- ديوان أبي تمام : ص ١٧٣
- ١٢- مذاهب النقد وقضاياه : ص ٦٧ ، القاهرة ١٩٧٥ م

**المصادر والمراجع**

- ١- أبو عثمان بن بحر، الجاحظ، البيان والتبيين، ط ٣، مكتبة الهلال، بيروت، ٢٠١٠
- ٢- تمام ، حسان، اللغة والنقد الأدبي ، مجلة فصول ، ج ٤ العدد الأول ديسمبر ١٩٨٣ م
- ٣- المقدمة: ص ٥٥.
- ٤- محمد رضوان، الدايه، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١ م
- ٥- أرنولد، بينيت ، الذوق الأدبي، ترجمة على الجندي، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٧
- ٦- ينظر: محمد بن فتوح، جذوة المقتبس : ط ٤ ، تحقيق لجنة إحياء التراث دار الكتاب العربي القاهرة ، ١٩٦٧
- ٧- ينظر: ابن خير، الأشبيلي، فهرسة ابن خير

- ١٩٥٧م  
٦- محمد بن الحسن، الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٤م  
٧- حبيب بن أوس، الطائي، ديوان أبي تمام، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م  
٨- مصطفى، عليان، تيارات النقد الأدبي في الأندلس، مؤسسة منشورات الرسالة، بيروت، ٢٠٠٨  
٩- عبدالرحمن عثمان، مذاهب النقد وقضاياها، مطبعة الإعلانات الشرقية، القاهرة، ١٩٧٥  
١٠- محمد بن فتوح، جذوة المقتبس، تحقيق لجنة إحياء التراث، ط ٤، دار الکتتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧  
١١- ابن خير، الأشبيلي، فهرسة بن خير : تحقيق فرنستكه وتلميذه، ط ١، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٣م  
١٢- شهاب الدين أحمد بن محمد، المقري، نفع الطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٢  
١٣- احسان، عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط ١، دار النشر والتوزيع، الأردن ١٩٩٣م  
١٤- ابن بسام، الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق احسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠